المحاضرة التاسعة : قراءة تحليلية في معركة أحد

كثيرة هي المعارك والغزوات التي حصـلت في عهد رسـول الله (ص وآله) إنطلاقاً من غزوة بدر وانتهاءاً بمعركة حُنين ، كلامنا سيكون حول معركة مهمة جداً وهي من أهم المعارك التي وقعت في التاريخ الاسلامي الا وهي معركة احد التي ذكرها القرآن الكريم في أكثر من (٦٠) آية ولو لم تذكر بالاسـم مثلما ذكرت بدر وحنين والاحزاب ، وذكرت تحديداً في سـورة آل عمران التي تحدثت آياتها عن هذه الغزوة إما مباشـرة او اشـارت الى احداث مرتبطة بهذه الغزوة ، هذا الاهتمام القرآني يسـتدعي منا ان نسـلط عليها الضـوء حيث حدثت في شهر شوال من السنة ٣ للهجرة عند جبل احد .

١- دوافع المشركين لخوض هذه المعركة

اسـتمرّت أحداث بدر ومعركتها التاريخية حيث ظلت تتفاعل حقداً وكيداً في نفوس المشـركين في مكّة ، ولم يكن لدى أبي سـفيان، قائد الشـرك والعدوان آنذاك، غير التفكير بالحرب ومعاودة الهجوم على المسلمين بدوافع منها:

- **الدافع الاول** : دافع الثأر لما جرى في معركة بدر ، والذي سـعى لهذا الثأر ابو سـفيان حيث انه ولمدة عام كامل منع نسـاء المشـركين من البكاء على قتلاهن وظل يحرض قومة قائلاً : يوما بيوم بدر .
- **الدافع الثاني** : سـعي قريش لإرجاع هيبتها أمام قبائل العرب بعد هزيمتها بمعركة بدر ، فبعد ان كانت قريش ترعى الممرات التجارية جاء المسـلمون وهددوا هذه الممرات بعد مهاجمتهم لقوافل قريش التجارية والتي على رأسـها قافلة ابو سـفيان ، فإهتزت مكانتها بين العرب لعدم مقدرتها على حماية قوافلها ولا قوافل العرب التجارية .

٢- اهداف المشركين في معركة احد :

لا بد من معرفة أهداف قريش من خوض معركة احد لمعرفة المنتصـر من المهزوم ، فكانت اهدافهم كالاتي :

- إلحاق هزيمة نكراء وساحقة بالمسلمين لتكون ناسخة لانتصارهم ببدر .
- اغتيال قيادات الصـف الاول لجيش المسلمين وهم رسـول الله (ص واله) والحمزة بن عبد المطلب عم الرسول (ص واله) وابن عمه ونفسه واخيه ووصيه وقائده الميداني الامام علي (ع) .

- اقتحام المدينة المنورة وانهاء وجود المسلمين فيها .

٣- <u>خطة قريش في خوض المعركة :</u>

السـؤال المطروح هنا هل جاءت قريش لخوض المعركة ولتحقيق اهدافها واذا كان الامر كذلك هل وضعت لها خطة محكمة لاجل ذلك ؟

أعد المشركون خطة محكمة لتحقيق اهدافها واعتمدت بالدرجة الاساس على الطابور الخامس (المنافقين) الذين كانوا عملاء لقريش ويسكنون في المدينة ، ويمكن تقسيم خطة المشركين على النحو التالي :

أ – منع المسلمون من القتال خارج المدينة ، من خلال محاصرة المسلمين داخل المدينة ، ويؤكد ذلك عددهم الكبير واصطحابهم للنساء .

حيث تروي كتب التاريخ والسيرة ان رسول الله (ص واله) اشار عليه رأس النفاق ابن ابي السلولي بالقتال داخل المدينة ، فأقر الرسـول الكريم (ص واله) رأيه ، فقال النبي (ص واله) : امكثوا في المدينة واجعلوا النساء في الآطام ، فاعترض شباب من قريش قائلين : اخرج بنا نريد الشهادة ، فأقر رسول الله (ص واله) رأيهم ، هذه الروايات مخالفة للعقل والمنطق ، فرسـول الله (ص واله) لا ينطق عن الهوى ان هو وحي يوحى وهو القائد العسكري لكل المعارك والغزوات ، صحيح انه يستشير اصحابه لكن من غير المعقول ان يستشير رأس النفاق ابن ابي السلولي ويقره على رأيه ومن ثم يخالفه ويوافق شبان قريش ، فهذه الرواية تظهر النبي (ص واله) ليس له رأي ثابت وموقفه متزعزع .

لكن الرواية الصحيحة تقول ان رسول الله (ص واله) هو الذي امر المسلمين بالقتال خارج المدينة فبعد ان سمع رأي ابن ابي السلولي دخل الى حجرته وخرج لابساً لامة حربه وقال : **((ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل))** ، وبهذا القول وضع الرسول الكريم (ص واله) ابن ابي السلولي بالمصيدة ، فانكشفت اوراق لعبته وتعتبر هذه اول خسارة للمشركين .

ب- اما الخطة الثانية ، ففيها اعتمدت قريش على عنصـر الغدر وذلك من خلال اختراق الطابور الخامس للمسلمين فقد قاموا بشن حربا نفسية شديدة وذلك بتحطيم معنوياتهم قبل الدخول في الحرب ، حيث انسحب عبد الله بن ابي من جيش المسلمين وانسحب معه ٣٠٠ مقاتل ، وارادت بنو سلمة وبنو حيان ان ينسحبوا لكنهم لم ينسـحبوا فنزل قوله تعالى : **((إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَـلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ))** .

وحاولوا تفريق الجيش عن رسـول الله **(ص واله)** وهذا الامر حصـل قبيل المعركة حيث قال ابو سـفيان : **((خلوا بيننا وبين ابن عمنا فننصـرف عنكم، فلا حاجة لنا إلى قتالكم))** ، واراد ابو عامر الفاسـق اسـتمالة الاوس ، ثم استعدت قريش لبث سيل من الشائعات عند بدء المعركة والتي من شأنها تغير مجريات الاحداث.

والسـؤال المطروح هنا كيف سيتعامل الرسـول الكريم (ص واله) مع المكر القرشـي وما هي اهم الاجراءات التي قام بها الرسول (ص واله) ؟

ج / كما كان النبي (ص واله) على علم بالخطة (أ) ايضـــاً فهو يعلم بالخطة (ب) ، فهذه الحرب ضـــد المشركين والمنافقين ، فاتخذ الرسول (ص واله) عدة اجراءات وهي :

- **اختيار مكان المعركة :** فالنبي (ص واله) هو الذي اختار مكان المعركة ليكون خارج المدينة فلن يسـتطيع القرشـيون الرجوع للخطة (أ) ومحاصـرة المدينة ومن جهة اخرى فان المكان الذي اختاره النبي (ص واله) لم يجعله يبتعد كثيرا عن المدينة بحيث لو صار اي تحرك في المدينة ضده بقيادة ابن ابي السلولي .
- جعل النبي (ص واله) في ظهر المعسـكر جبل احد ونزل بالجيش بسـفح الجبل ليكون الجبل درعاً للجيش .
- عزل كتيبة من الجيش رغم قلة العدد من امهر الرماة وجعلهم على الجبل واوصـــاهم الرسـول (ص واله) قائلاً : **((إن رأيتُمونا تَخطفُنا الطَّيرُ، فلا تبرَحوا من مَكانِكُم هذا حتَّى أُرْسِـلَ لَكُم، وإن رأيتُمونا هزَمنا القومَ وأوطَأناهُم فلا تبرَحوا حتَّى أُرْسِلَ إليكُم))** .

٤- <u>أحداث المعركة :</u>

دقّ المشـــركون طبول الحرب، وزحفوا باتّجاه المدينة. وكان عددهم ثلاثة آلاف مقاتل. وعرف النبيّ صـلى الله عليه وآله وسـلم بمسـيرهم من خلال عيونه في مكّة ، التحم الجيشـان وابدى المسـلمون شـــجاعة منقطعة النظير ، واول مبارزة كانت بين الامام علي (ع) وابن ابي طلحة وانتهت المبارزة بمقتل الاخير ، **وكانت هذه الجولة الاولى** التي تحقق النصـــر فيها للمسـلمين على المشـركين وفر جيش المشركين وتركوا نسائهم حتى شوهدت هند زوجة ابي سفيان ، تركض وتلحق بالمشركين .

وفي **الجولـة الثانيـة** انقلبت الموازين ، عندما بدأ الطابور الخامس يتحرك حيث حدثت ثلاثة امور قلبت الموازين ، اولها : إغراء الرماة الذين كانوا على الجبل بالغنائم ، حيث جاءهم احد الاشـــخاص

من المشركين وشاع بين الرماة ان رسول الله (ص واله) لم يقسم الغنائم كما فعل ببدر ويقسمها على الذين قاتلوا فقط ، لذلك ترك الرماة مواقعهم ، اعطى المشركين فرصة ذهبية ممّا أحدث ثغرة في صفوف المجاهدين، استغلها خالد بن الوليد فهاجم لمسلمين من خلفهم تسبّب هذا الهجوم ببعثرة الجيش الإسلامي وانهزامه أمام المشركين الذين استعادوا أنفاسهم بعدما تمكّن خالد بن الوليد من قتل القلة التي بقيت على الجبل والالتفاف على المسلمين المنشغلين بجمع الغنائم ، ومن الجدير بالذكر ان الجبل لم يكن في هذه الجولة في ظهر المسلمين لان المسلمين تقدموا كثيراً في مطاردة المشركين ، وهنا يشير القرآن الكريم الى هذه الجولة **((وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ))** ، فهذا اختبار كبير للرماة فمنهم من يريد الدنيا ومنهم من يريد الاخرة .

ثانيها : اما التحرك الثاني للمشركين فهو اخطر من جهة المعنويات فقد عمل الطابور الخامس على بث الاشاعات التي تقول ان النبي محمد (ص واله) قد قتل ، وقد صدقهم المسلمين لعدة اسباب منها : (فالجميع يعلم ان النبي (ص واله) في المعركة يقاتل ، وان الحمزة قد قتل ، فلا غرابة من مقتل النبي في المعركة ، والسبب الآخر ، ان الصحابي الجليل مصعب بن عمير كان قد قتل ايضاً وفيه شبه كبير من رسول الله (ص واله) فظن المسلمون انه رسول الله (ص واله).

فحصل انكسار في معنويات جيش المسلمين حتى قال احدهم : **((والذي نفسي بيده لئن كان قتل النبي لنعطينهم بأيدينا، إنهم لعشائرنا وإخواننا! وقالوا: لو أن محمدا كان نبيا لم يهزم ولكنه قد قتل ! فترخصوا في الفرار حينئذ! فأنزل الله: وما محمد إلا رسول..))** ، وقال أهل المرض والارتياب والنفاق حين فر الناس عن النبي (ص) **((قد قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول! فنزلت هذه الآية: وما محمد إلا رسول..))** ، وهرب المسلمون وتركوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحيداً ثابتاً في مكانه بين كتائب المشركين، لم يثبت أحدٌ سوى أمير المؤمنين (عليه السلام) وبعض الصحابة الثابتين بالعقيدة (سهل بن حنيف وابو دجانة الانصاري)، فظل امير المؤمنين علي (ع) يدافع عن رسول الله (ص) ويردّ الكتائب المتّجهة نحوه، فما من كتيبة تتّجه إليه إلّا وقتل أمير المؤمنين (عليه السلام) رأسَهم وشتّت جمعهم، إلى أن يئسوا من الوصول لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأظهر (عليه السلام) في هذه المعركة بطولة أسطوريّة تعدّ في المعجزات ، وعن أمير المؤمنين (ع) أنّه قال: « **نشدتكم الله، أفيكم أحدٌ يوم انقلب الناس على أعقابهم، فلم يبقَ مع رسول الله أحدٌ**

غيري، فهبط جبرائيل في أربعة آلاف ملك، كلّهم ينادي: لا سيف إلّا ذو الفقار ، ولا فتى إلّا علي)).

ثالثها : تثبيط الناس وتجبينهم وتشجيعهم على الفرار ومد اليد للمشركين وهذا ما ذكرته المصادر التاريخية **((وقد كان الناس انهزموا عنه حتى بلغ بعضهم إلى المبقى دون الأعوص، وفر فلان وفلان حتى بلغوا الجلعب جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص فأقاموا ثلاثا ثم رجعوا))** ، وبينت بعض المصادر الحالة النفسية التي مر بها بعض الصحابة **((لما كان يوم أحد هزمنا ، ففررت حتى صعدت الجبل ، فلقد رأيتني أنزو كأنني أروى ، والناس يقولون : قتل محمد))** ، بالنتيجة : اصبح انسحاب جماهيري للمسلمين ، اذ قال تعالى : **((إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ))** .

٥- هل كان نصراً ام هزيمة ؟

لقد اثبت التاريخ ان المسلمين هزموا في معركة احد وان النبي (ص واله) قد اصيب وحمل الى الجبل لكن هذا الشيء قد نفاه اهل البيت (عليهم السلام) ، فما الذي جرى بعد انسحاب الكل ؟ سعى المشركون لتحقيق الاهداف التي جاؤوا من اجلها وعلى رأسها هدفين أساسيين الاول : اغتيال النبي (ص واله) والامام علي (ع) والثاني : اقتحام المدينة واعادتها لسيطرة قريش ، والحرب كانت تسير بهذا الاتجاه لكن المقاومة الشرسة التي واجهت قريش والتي على رأسها رسول الله (ص واله) والامام علي (ع) وبعض الصحابة الثابتين **(تآمرت قريش بعد انسحابهم من أحد على أن يرجعوا على المدينة، فقال رسول الله ': من رجل يأتينا بخبر القوم؟ فلم يجبه أحد، فقال أمير المؤمنين: انا آتيك بخبرهم، قال اذهب فإن كانوا ركبوا الخيل وجنبوا الإبل فهم يريدون المدينة والله لإن أرادوا المدينة لا يأذن الله فيهم، وإن كانوا ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فإنهم يريدون مكة، فمضى أمير المؤمنين على ما به من الألم والجراحات حتى كان قريبا من القوم، فرآهم قد ركبوا الإبل وجنبوا الخيل، فرجع إلى رسول الله ' فأخبره، فقال رسول الله ': أرادوا مكة))**.

فلما دخل رسول الله المدينة نزل عليه جبرئيل فقال : **((يا محمد إنَّ الله يأمرك أن تخرج في اثر القوم، ولا يخرج معك الا من به جراحة، فأمر رسول الله ' مناديا ينادي: يا معشر المهاجرين والأنصار، من كانت به جراحة فليخرج، ومن لم يكن به جراحة فليقم، فاقبلوا يضمدون جراحاتهم**

ويداوونها، فأنزل الله على نبيه "وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ")) ، وقال عز وجل **"إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ"** ، فخرجوا على ما بهم من الألم والجراح، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله **بحمراء الأسد** وقريش قد نزلت الروحا ،

قال عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد: **((نرجع فنغير على المدينة، فقد قتلنا سراتهم وكبشهم يعني حمزة))** ، فوافاهم رجل خرج من المدينة فسألوه الخبر فقال تركت محمدا وأصحابه بحمراء الأسد يطلبونكم جد الطلب فقال أبو سفيان هذا النكد والبغي قد ظفرنا بالقوم وبغينا والله ما أفلح قوم قط بغوا، فوافاهم نعيم بن مسعود الأشجعي فقال أبو سفيان أين تريد؟ قال المدينة لأمتار لأهلي طعاماً، قال هل لك ان تمر بحمراء الأسد وتلقى أصحاب محمد وتعلمهم أن حلفاءنا وموالينا قد وافونا من الأحابيش حتى يرجعوا عنا ولك عندي عشرة قلايص املؤها تمرا وزبيبا؟ قال نعم، فوافا من غد ذلك اليوم حمراء الأسد، فقال لأصحاب للمسلمين أين تريدون؟ قالوا قريش، قال ارجعوا فان قريشا قد أجنحت إليهم حلفاؤهم ومن كان تخلف عنهم وما أظن الا وأوائل القوم قد طلعوا عليكم الساعة، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، ونزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : **((ارجع يا محمد فان الله قد ارهب قريشا، ومروا لا يلوون على شيء، ورجع رسول الله ' إلى المدينة وانزل الله: ((الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))** .

وبالتالي فقد اسدل الستار عن هذه المعركة بانسحاب المشركين من ميدان المعركة الى مكة بعد ان تعقبهم المسلمون ، والالتباس وقع بين المؤرخين انهم جعلوا غزوة حمراء الاسد غزوة مستقلة في حين انها المشهد الختامي لمعركة احد ، ومن الجدير بالملاحظة مكن تقسيم معركة احد الى اربع جولات : الجولة الاولى كان النصر فيها للمسلمين والجولة الثانية انقلبت الموازين واصبح النصر للمشركين والجولة الثالثة ثبات المسلمين وعلى رأسهم الرسول (ص واله) والامام علي وبعض الصحابة ، والجولة الرابعة انسحاب المشركين ومطاردتهم من قبل المسلمين لحين وصولهم لتخوم مكة .

٦- **نتائج معركة احد :**

- وصول المشركين الى قناعة تامة ان المسلمين اصبحوا قوة عسكرية قوية .
- انكشاف خيوط المؤامرة في الداخل الاسلامي المتمثلين بالمنافقين .
- انكشفت نوايا بعض المسلمين الذين فروا من المعركة او الذين غرتهم الغنائم .
- بروز الحنكة السياسية للنبي محمد (ص واله) حيث كان محيطاً احاطة تامة بتفاصيل المشهد حيث جعل لكل مفصل من مفاصيل المعركة حلاً .